الحب الأصيل

في حياة

الحب الأصيل في حياة القمص بيشوى كامل

تبقى حياة أبينا المحبوب القمص بيشوي كامل تجيب على تساؤلات الكثير من شبابنا المعاصر، هذا ما دفعني لكتابة مجموعة من النبذات تكشف عن الإنجيل كما عاشه أبونا المحبوب.

يتساءل البعض:

إلى أى مدى أحب الآخرين؟

هل يمكن للإنسان أن ينفذ وصية تقديم الخد الآخر في عصرنا هذا؟

ألا يُحسب سير الميل الثاني لمن يطلب ميلاً واحدًا ضعفًا وتهاونًا؟

كيف أجمع في حياتي بين الحب، إن أمكن، بغير حدود ـ والحزم؟

✞ ✞ ✞

قلب كبير متسع

اتسم أبونا بيشوي كامل بالحب العملي في تصرفاته...

ففي أوائل الستينات، إذ دخلت الكنيسة وجدت شابًا متزوجًا يقف في فناء الكنيسة، وكان يهاجم أبانا بألفاظ قاسية. وقد أراد البعض أن يتصدى له، وكان ذلك قبل عشية يوم سبت.

وهو يريد أن يعتذر لك عما صدر منه في غيبتك!].

بدلاً من العودة إلى منزلنا طلب منى أبونا أن نذهب إلى بيته معًا، قائلاً:

[هو ابني، وأنا غلطان!

أنا مستعد أن أقّبِل قدميه].

فرحت بقلب أبينا المتسع وحبه لأولاده...

فوجيء الشاب بدخولنا فارتمى على الأرض ليُقّبل قدمّيْ أبينا، أما هو فبقوة اجتذبه واحتضنه وقبَّله، وهو يقول:

[حقك علىّ... ما تزعلش، أنا غلطان!].

لم يحتمل الشاب هذا الحب فصار يبكي!

صورة رائعة وحيَّة للأب الخادم، بل وللمسيحي الحقيقي الذي لا يدافع عن كرامته الشخصية، ولا يحمل كراهية أو حقدًا بل كل حبٍ بروح الاتضاع المملوء حكمة!

بسيامة أبينا بيشوى انجذب الكثيرون إلى السيد المسيح، وانفتحت القلوب للكنيسة وللكهنة، لأنهم رأوا فيه صاحب القلب المتسع حبًا!

قلبه متسع بالحب للجميع! روى لي أحد الأحباء في لوس أنجيلوس القصة التالية:

[عندما جاء أبونا إلى لوس أنجيلوس عام ١٩٦٩ للخدمة، زارني في بيتى... فقلت له: "أتحب أن تسمع عظة جميلة وجذابة!" فأجاب بالإيجاب. وإذ بدأ يسمع العظة المسجلة لأحد الآباء المشهورين سمعه يقول: "أنا تكلمت مع (فلان)، أى مع شخص له تقدير عظيم..." لم يحتمل أن يسمع أبونا بقية العظة، وقال لي: "أغلق المُسجل recorder".

سألته: "لماذا لا تريد أن تسمع؟"

أجاب: "الخادم الذى يفتخر بأنه يتحدث مع شخص عظيم له رتبته عن المسيح لا يصلح لملكوت اللَّه... هل مات المسيح عن العظماء دون الفقراء؟ هل نفْس هذا العظيم أثمن من نفس خادم أو خادمة في بيت؟"]

لعل أجمل ما في حياته حبه للكل واشتياقه لخلاص كل نفس، أيا كانت؛ دون تمييز بين غنيٍ وفقيرٍ، عظيمٍ ومُحتقرٍ، متعلمٍ وأميٍ.

الحب... هو سر قوته

سر قوة شخصيته لا تقوم على موهبة المتعددة، وإنما على اتساع قلبه بالحب! ما أجمل العبارات التي افتتح بها قداسة البابا شنودة الثالث حديثه عنه قائلاً إنه "صاحب نفس كبيرة"! نفسه عظيمة في اتساعها، أبوابها دائمًا مفتوحة للجميع!

أتريد أيها الشاب أن تتعم بشخصية قوية، اعرف طريق الحب العملي الحكيم! أقول "العملي الحكيم". كل تصرف يصدر عن أبينا كان بهدف جاد، حتى بشاشته وابتسامته.

أعرفه وهو شاب كأمين التربية الكنسية في كنيسة السيدة العذراء بمحرم بك، حين كنا نجتمع معًا لتهنئة خادم أو شاب لنجاحه أو عودته من سفر الخ، يحوّل الجلسة إلى اجتماع روحي بطريقة هادئة وبروح المرح اللطيف.

في حبه الحكيم تشتاق أن تجلس معه لتروى له همومك، لكنه لا يضع أنفه في حياة الناس". إنه كما قال السيد المسيح كالملح الذى يعطي للطعام نكهة عذبة دون أن يحول الطعام إلى الملوحة! يُحب ويُعطي، ويُجيب ويسمع، لكنه بحكمة يعرف تدخله في حياة الآخرين.

في عام ١٩٥٧ إذ كنت أقضي فترة خلوة في أحد الأديرة البعيدة سألني راهب: "هل تعرف سامى كامل؟" أجبته بالإيجاب، فقال لي: "إني أشبهه بنسمه ربح هادئة تعبر على الإنسان فيشعر بسلام داخلي وبهجة ويعبر دون أن تدرى!" تراه فتحبه، تشتاق أن تتحدث معه لكنه لا يقحم نفسه في حياة الآخرين!

الحب الحازم

عُرف أبونا بيشوى بحبه الحازم؛ لم يكن يجامل على حساب الحق، ولا يُداهن لأجل الوجوه، ولا يهادن لعلة أو أخرى... كان يحب الخطاة ويترفق بهم كسيده، لكنه يرفض الدنس في الكنيسة بكل قوة وجرأة، خاصة إن كان الأمر يمس خادمًا أو قائدًا دينيًا أو يمس قدسية بيت اللَّه.

كان في حبه يفتح صدره للكل، لكن ليس على حساب العقيدة المستقيمة أو الحق... وله في هذا موقف كثيرة يصعب عرضها، أذكر منها:

أثناء خدمتى بلوس أنجيلوس كتب إلىَّ رسالة جاء فيها أن قداسة البابا شنودة يتصدى بمفرده لانحراف عقيدى يتسلل إلى الكنيسة خلال الكاهن (فلان) وكان يلزم أن يقف كل الكهنة والخدام معه بكل قوة!

في أيامه الأخيرة إذ لم يكن قادرًا على مغادرة الفراش طلب منى أن التقي بقداسة البابا لأخبرة عن "فساد" ما لكى يتصرف بحكمته المعهودة، إذ كان يشعر أن صمته عن هذا الفساد وهو على فراش الموت يجلب غضب اللَّه على الكنيسة!

إذ سافر للخدمة في لوس انجليوس التى أسسها أبونا بيشوى قال لي: "إنني لأول مرة في حياتي اضطررت أن أحرم شخصين، لكنني لا أريد العودة إلى مصر قبل إعطائهما الحِلّ". أما سبب الحرمان فهو انه بعد شرائه الكنيسة طلبا منه ـ وهما شخصان لهما شهرتهما ـ أن يهتم بالصلاة والاجتماعات الروحية ويترك لهما صالة الكنيسة ليمارسا مع غيرهما أنشطة ترفيهية يُسمح فيها بالخمر والرقص... هنا وقف أبونا يتصدى للموقف بكل حزم!

مع حرمانهما ذهبنا معًا لزيارتهما، وإذ استقر الأمر بين كل الشعب على احترام قدسية الكنيسة أعلن عن إعطائهما الحِلّ قبل مغادرته لوس أنجيلوس!

والعجيب في الأمر انه مع حرمانه لهما كان يقول لي قبل أن أتعَّرف عليهما إنهما شخصان لهما مواهبهما، وأنهما حسنا النية، ومخلصين، وإن طلبهما هذا وإصرارهما عليه كان من واقع اختلاف فكرهما عن التيار الروحي... وأنه قد تصَّدى لتصرفاتهما لكنه لا يريد أن تخسرهما الكنيسة... فهو يحزم لكنه أيضًا يلاطف ويحب في غير تهاون بقدسية الحياة الكنسية.

أكتب اليك أيها الشاب عن هذه السيرة العطرة لكي تتمثَّل به كما هو بالمسيح، فنحيا بروح الحب الحازم، بقلب متسع يحمل في داخله اللَّه محب البشرية، لكنه لا يسمح للشر أن يتسلل إليه.

لقد عاش أبونا بيشوى بفكر إجيلي كنسي آبائي:

✞ فإني أنا كأني غائب بالجسد ولكن حاضر بالروح قد حكمت كأني حاضر في الذى فعل هذا هكذا.

باسم ربنا يسوع المسيح... أن يُسلَّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع...

ألستم تعلمون أن خميرة صغيرة تخمر العجين كله؟!

إذًا نقوا منكم الخميرة العتيقة لكي تكونوا عجينًا جديدًا كما أنتم فطير...

١ كورنثوس ٥.

✞ ليس هى فضيلة (التهاون مع الخطاة غير التائبين) بل هو ضعف؛ إنها ليست محبة أو وداعة بل هى قساوة على تلك النفوس التى يُغفل عنها فتهلك دون ان تتيقظ لخرابها!

القديس أغسطينوس

✞ من يرعى الخراف لا ينبغي أن يكون أسدًا ولا نعجة.

القديس يوحنا الدرجي

✞ أدِّب بخوف اللَّه ولا تشفق، ولا تأخذ بوجه كبير أو صغير، بل اقطع بكلام الحق باستقامة.

القديس أنبا أنطونيوس

✞ التوبيخ يجب أن تسبقه الرحمة لا الغضب.

القديس أغسطينوس

✞ لا يليق بالأطباء أن يسخطوا على المرضى، بل يجب عليهم أن يضادوا الأمراض ليشفوا المرضى.

القديس باسيليوس الكبير

✞ هكذا إذا لم يُبعد الإنسان المخالف عن كنيسة اللَّه، فإنكم تصيرون بيت اللَّه مغارة لصوص...

✞ ارع القطيع لا بضجر ولا بهزء، كأن لك سلطان عليهم، بل كراعٍ تجمع الخراف إلى حضنك، وتُقوّى الحبالي.

الدسقولية (باب ٤).

علمني أيها الحب كيف أحب!

✞ هب لي أيها الحب الحقيقي
روحك القدوس الناري،
فيلتهب قلبي بنار حبك.
تشرق نفسي بك على الجميع،
فأرى في الكل خليقتك المحبوبة!

✞ علمني أيها الحب كيف أحب!
لقد ترفقت بالخطاة والعشارين،
غفرت للزانية خطاياها،
ودخلت بيت العشار،
وفتحت فردوسك للص اليمين.
بحبك لم تجرح مشاعر خاطي جريح!
بل كنت دومًا تسند وتضمد!
بحبك طردت باعة الحمام والصيارفة،
لا ليبقوا دومًا خارج الهيكل،
وإنما ليتاهلوا بالتوبة للتمتع بمقدسك!
وبحبك وبخت الكتبة والفرسيين المرائين،
مشتاقًا أن يدخلوا بروح الاتضاع إلى أحضانك!

✞ عجيب أنت في حبك،
فقد قال عنك بيلاطس بنطس:
"تشتاق أن تنظر إليه،
لكنك لا تقدر أن تتفرس فيه!".
تجتذب الأطفال الصغار،
ويأتيك الخطاة تائبين،
ويهابك الفريسيون الأشرار،
ويخشون لقاءك

✞ لتسكن أيها الحب في قلبي،
فأمارس الحب الحق بلا مداهنة،
وأحيا حازمًا شجاعًا بروح الوداعة!

✞ ✞ ✞

في أيامه الأخيرة إذ لم يكن قادرًا على مغادرة الفراش طلب منى أن التقي بقداسة البابا لأخبرة عن "فساد" ما لكى يتصرف بحكمته المعهودة، إذ كان يشعر أن صمته عن هذا الفساد وهو على فراش الموت يجلب غضب اللَّه على الكنيسة!

أكتب اليك أيها الشاب عن هذه السيرة العطرة لكي تتمثَّل به كما هو بالمسيح، فنحيا بروح الحب الحازم، بقلب متسع يحمل في داخله اللَّه محب البشرية، لكنه لا يسمح للشر أن يتسلل إليه.

لقد عاش أبونا بيشوى بفكر إنجيلي كنسي آبائي:

✞ فإني أنا كأني غائب بالجسد ولكن حاضر بالروح قد حكمت كأني حاضر في الذى فعل هذا هكذا.

باسم ربنا يسوع المسيح... أن يُسلَّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع...

ألستم تعلمون أن خميرة صغيرة تخمر العجين كله؟!

إذًا نقوا منكم الخميرة العتيقة لكي تكونوا عجينًا جديدًا كما أنتم فطير...

١ كورنثوس ٥.

✞ ليس هى فضيلة (التهاون مع الخطاة غير التائبين) بل هو ضعف؛ إنها ليست محبة أو وداعة بل هى قساوة على تلك النفوس التى يُغفل عنها فتهلك دون ان تتيقظ لخرابها!

القديس أغسطينوس

✞ من يرعى الخراف لا ينبغي أن يكون أسدًا ولا نعجة.

القديس يوحنا الدرجي

✞ أدِّب بخوف اللَّه ولا تشفق، ولا تأخذ بوجه كبير أو صغير، بل اقطع بكلام الحق باستقامة.

القديس أنبا أنطونيوس

✞ التوبيخ يجب أن تسبقه الرحمة لا الغضب.

القديس أغسطينوس

✞ لا يليق بالأطباء أن يسخطوا على المرضى، بل يجب عليهم أن يضادوا الأمراض ليشفوا المرضى.

القديس باسيليوس الكبير

✞ هكذا إذا لم يُبعد الإنسان المخالف عن كنيسة اللَّه، فإنكم تصيرون بيت اللَّه مغارة لصوص...

✞ ارع القطيع لا بضجر ولا بهزء، كأن لك سلطان عليهم، بل كراعٍ تجمع الخراف إلى حضنك، وتُقوّى الحبالي.

الدسقولية (باب ٤).

علمني أيها الحب كيف أحب!

✞ هب لي أيها الحب الحقيقي

روحك القدوس الناري،

فيلتهب قلبي بنار حبك.

تشرق نفسي بك على الجميع،

فأرى في الكل خليقتك المحبوبة!

✞ علمني أيها الحب كيف أحب!

لقد ترفقت بالخطاة والعشارين،

غفرت للزانية خطاياها،

ودخلت بيت العشار،

وفتحت فردوسك للص اليمين.

بحبك لم تجرح مشاعر خاطي جريح!

بل كنت دومًا تسند وتضمد!

بحبك طردت باعة الحمام والصيارفة،

لا ليبقوا دومًا خارج الهيكل،

وإنما ليتاهلوا بالتوبة للتمتع بمقدسك!

وبحبك وبخت الكتبة والفرسيين المرائين،

مشتاقًا أن يدخلوا بروح الاتضاع إلى أحضانك!

✞ عجيب أنت في حبك،

فقد قال عنك بيلاطس بنطس:

"تشتاق أن تنظر إليه،

لكنك لا تقدر أن تتفرس فيه!".

تجتذب الأطفال الصغار،

ويأتيك الخطاة تائبيين،

ويهابك الفريسيون الأشرار،

ويخشون لقاءك

✞ لتسكن أيها الحب في قلبي،

فأمارس الحب الحق بلا مداهنة،

وأحيا حازمًا شجاعًا بروح الوداعة!

✞ ✞ ✞

صورة رائعة وحيَّة للأب الخادم، بل وللمسيحي الحقيقي الذي لا يدافع عن كرامته الشخصية، ولا يحمل كراهية أو حقدًا بل كل حب بروح الاتضاع المملوء حكمة!

بسيامة أبينا بيشوى انجذب الكثيرون إلى السيد المسيح، وانفتحت القلوب للكنيسة وللكهنة، لأنهم رأوا فيه صاحب القلب المتسع حبًا!

قلبه متسع بالحب للجميع! روى لي أحد الأحباء في لوس أنجيلوس القصة التالية:

[عندما جاء أبونا إلى لوس أنجيلوس عام ١٩٦٩ للخدمة، زارني في بيتى... فقلت له: "أتحب أن تسمع عظة جميلة وجذابة!" فأجاب بالإيجاب. وإذ بدا يسمع العظة المسجلة لأحد الآباء المشهورين سمعه يقول: "أنا تكلمت مع (فلان)، أى مع شخص له تقدير عظيم..." لم يحتمل أن يسمع أبونا بقية العظة، وقال لي: "أغلق المُسجل recorder".

سألته: "لماذا لا تريد أن تسمع؟".

أجاب: "الخادم الذى يفتخر بانه يتحدث مع شخص عظيم له رتبته عن المسيح لا يصلح لملكوت اللَّه... هل مات المسيح عن العظماء دون الفقراء؟ هل نَفْس هذا العظيم أثمن من نفس خادم أو خادمة في بيت؟"]

لعل أجمل ما في حياته حبه للكل واشتياقه لخلاص كل نفس، أيا كانت؛ دون تمييز بين غني وفقير، عظيم ومُحتقر، متعلم وأمي.

الحب... هو سر قوته

سر قوة شخصيته لا تقوم على موهبة المتعددة، وإنما على اتساع قلبه بالحب! ما أجمل العبارات التى افتتح بها قداسة البابا شنودة الثالث حديثه عنه قائلاً إنه "صاحب نفس كبيرة"! نفسه عظيمة في اتساعها، أبوابها دائمًا مفتوحة للجميع!

أتريد أيها الشاب أن تنعم بشخصية قوية، اعرف طريق الحب العملي الحكيم! أقول "العملي الحكيم". كل تصرف يصدر عن أبينا كان بهدف جاد، حتى بشاشته وابتسامته.

أعرفه وهو شاب كأمين التربية الكنسية في كنيسة السيدة العذراء بمحرم بك، حين كنا نجتمع معًا لتهنئة خادم أو شاب لنجاحه أو عودته من سفر الخ، يحوّل الجلسة إلى اجتماع روحي بطريقة هادئة وبروح المرح اللطيف.

في حبه الحكيم تشتاق أن تجلس معه لتروى له همومك، لكنه لا يضع أنفه في حياة الناس". إنه كما قال السيد المسيح كالملح الذى يعطي للطعام نكهة عذبة دون أن يحول الطعام إلى الملوحة! يُحب ويُعطي، ويُجيب ويسمع، لكنه بحكمة يعرف تدخله في حياة الآخرين.

في عام ١٩٥٧ إذ كنت أقضي فترة خلوة في أحد الأديرة البعيدة سألني راهب: "هل تعرف سامى كامل؟" أجبته بالإيجاب، فقال لي: "إني أشبهه بنسمه ربح هادئة تعبر على الإنسان فيشعر بسلام داخلي وبهجة ويعبر دون أن تدرى!" تراه فتحبه، تشتاق أن تتحدث معه لكنه لا يقحم نفسه في حياة الآخرين!

الحب الحازم

عُرف أبونا بيشوى بحبه الحازم؛ لم يكن يجامل على حساب الحق، ولا يُداهن لأجل الوجوه، ولا يهادن لعلة أو أخرى... كان يحب الخطاة ويترفق بهم كسيده، لكنه يرفض الدنس في الكنيسة بكل قوة وجرأة، خاصة إن كان الأمر يمس خادمًا أو قائدًا دينيًا أو يمس قدسية بيت اللَّه.

كان في حبه يفتح صدره للكل، لكن ليس على حساب العقيدة المستقيمة أو الحق... وله في هذا موقف كثيرة يصعب عرضها، أذكر منها:

أثناء خدمتى بلوس أنجيلوس كتب إليَّ رسالة جاء فيها أن قداسة البابا شنودة يتصدى بمفرده لانحراف عقيدى يتسلل إلى الكنيسة خلال الكاهن (فلان) وكان يلزم أن يقف كل الكهنة والخدام معه بكل قوة!

في أيامه الأخيرة إذ لم يكن قادرًا على مغادرة الفراش طلب منى أن التقي بقداسة البابا لأخبرة عن "فساد" ما لكى يتصرف بحكمته المعهودة، إذ كان يشعر أن صمته عن هذا الفساد وهو على فراش الموت يجلب غضب اللَّه على الكنيسة!